المجلة المغربية للدراسات القانونية والاقتصادية
ISSN(P) : 1142-2489
V2, Numéro 25, MARS 2026
المجلد 2، العدد 25، مارس 2026
ISSN(E) : 3085-4555
Revue Marocaine des Eudes Juridiques et Economiques

بين منطق الفردانية وهيمنة الاستهلاك: قراءة سوسيولوجية لتحولات الهوية داخل الفضاءات الحضرية المعاصرة

"Between the Logic of Individualism and the Hegemony of Consumption: A Sociological Reading of Identity Transformations within Contemporary Urban Spaces"

علي سكاك ALi Sekak

طالب باحث في سلك الدكتوراه تخصص علم الاجتماع، جامعة القاضي عياض، مراكش. البريد الاليكتروني:

a.sekak.ced@uca.ac.ma

تحت اشراف: د. **مُحَمَّد عبد الخلقي Dr. Abdelkhalki Mohamed**

أستاذ التعليم العالي تخصص علم الاجتماع، جامعة القاضي عياض، مراكش. البريد الاليكتروني:

m.abdelkhalki@uca.ac.ma

الملخص:

الدراسة هذه تحاول استقصاء التحولات البنيوية التي طرأت على مفهوم الهوية داخل الفضاءات الحضرية المعاصرة، متجاوزة التفسيرات الجغرافية والهندسية الضيقة للمدينة، لصالح تناول سوسيولوجي يعتبرها كمختبر لإنتاج الفردانية والاغتراب. تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مفادها أن المدينة، رغم عملها على تحرير الفرد من القيود التقليدية، الا انها افرزت ذواتا هشة تعاني من سيولة الروابط وتأكل شبكات الأمان الجمعية، مما يدفع الافراد نحو الانخراط في أنماط استهلاكية ليست لتحقيق حاجة ذاتية نفعية، بل كوسيلة بترميم الهوية.

وبغية تأثيث هذه الدراسة نظريا تم الاستناد الى مُتون سوسيولوجية ما بعد حداثية؛ حيث استلهمت الدراسة من **زيجمونت باومان** مفاهيم السيولة وفردنة المسؤولية الأخلاقية، ومن **جان بودريار** منطق نظام العلامات والرموز الذي يحول السلعة إلى لغة للتمايز الاجتماعي. كما وظفت الدراسة أطروحات **جيل ليبوفتسكي** حول عصر الفراغ والنرجسية كآلية دفاعية، وصولا إلى تصور **شارون زوكين** التي تكشف كيف يتم تسليع الفضاء الحضري وإعادة هيكلة امكنته، خدمة لتراكم رأس المال على حساب المواطنة والانتماء.

تخلص الدراسة ضمنيا إلى الأفراد في ظل المدن الحديثة يعيشون مفارقة صاخبة؛ بين الانوِجاد في مكان تتكاتف فيه الذوات وبين الإحساس المهول بالغربة، حيث تتشظى هويتهم، ويغدو الاستهلاك هو المنفذ الوحيد لإعادة بنائها دوريا، ما يجعل الفرد ينصرف عن الاهتمام بالشأن العمومي بكل قضاياه، ويلقي السمع في المقابل لمنطق اللذة والاشباع الفوري، الامر الذي يدخله في دوامة من عدم الرضا الذي لا ينتهي.

الكلمات المفتاحية :المدن المعاصرة، الهوية، الاستهلاك، الفردانية، الاغتراب.

Abstract:

This study seeks to investigate the structural shifts that have redefined the concept of identity within contemporary urban spaces. It transcends reductive spatial and architectural interpretations of the city in favor of a sociological approach that conceives the urban environment as a laboratory for the production of both hyper-individualism and profound alienation. The central problematic posits that while the city serves to liberate the individual from traditional constraints, it simultaneously produces "fragile subjects" suffering from the fluidity of social ties and the erosion of collective safety nets. This precariousness drives individuals toward consumption patterns that do not merely serve utilitarian needs, but rather function as a symbolic stratagem for identity restoration.

To establish a robust theoretical framework, this research draws upon postmodern sociological discourses. It incorporates Zygmunt Bauman's concepts of "liquidity" and the "individualization of moral responsibility," alongside Jean Baudrillard's analysis of the "system of signs," which transforms commodities into a language of social distinction. Furthermore, the study employs Gilles Lipovetsky's theses on the "Era of Emptiness" and narcissism as a defensive mechanism, ultimately reaching Sharon Zukin's critique of the commodification of urban space and the restructuring of "place" to serve capital accumulation at the expense of citizenship and belonging.

The study concludes that individuals in modern cities inhabit a profound paradox: they exist within dense social topographies yet experience an overwhelming sense of ontological estrangement. As identity becomes increasingly fragmented, consumption emerges as the primary recurring mechanism for its periodic reconstruction. Consequently, the individual withdraws from the public sphere and its collective concerns, gravitating instead

toward the logic of immediate gratification and hedonic fulfillment—a trajectory that inevitably leads to a cycle of perpetual dissatisfaction.

Keywords: Contemporary Cities, Identity, Consumption, Individualism, Alienation.

1.مقدمة:

وصلت المدن المعاصرة الى حالة لا يمكن فيها النظر اليها على انها مجرد وعاء فيزيقي يحتوي الكثافة السكانية، أو مجرد رقعة جغرافية تتراكم فيها المنشآت والعمران؛ بل هي في جوهرها حالة ذهنية وانماط عيش نفسية واجتماعية معقدة تفرض شروطها القاسية على الكائن البشري. ولعلى أبرز تجليات هذه الشروط تلك المفارقة الوجودية الصارخة التي يعيشها إنسان الحداثة: فبينما تتيح المدينة أقصى درجات التقارب الجسدي والفيزيائي بين الأفراد، فإنها في الآن ذاته تنتج أقصى درجات التباعد الاجتماعي والاغتراب النفسي. هذا التناقض البنيوي هو المشتل الذي نمت فيها الفردانية لا كخيار حر ومسؤول، بل كآلية دفاعية وضرورة حتمية للنجاة.

إن انتقال الفرد من مجتمعه المحلي(القرية/القبيلة) الدافئ بعلاقاته الأولية، إلى الى المدينة او المجتمع الحضري البارد بعلاقاته التعاقدية والعقلانية، لم يحرره فقط من قيود الرقابة الجماعية، بل جرده أيضا من شبكات الأمان التقليدية التي كانت تمنحه هوية جاهزة. وهنا يجد الفرد الحضري نفسه عبارة عن ذرة معزولة تواجه سؤالا وجوديا مقلقا. وأمام تآكل الروابط الاجتماعية التقليدية، وتراجع المصادر التقليدية للمعنى؛ تبرز النزعة الاستهلاكية[1] كفاعل بديل وكمنقذ وهمي لملء هذا الفراغ الوجودي.

لم يعد الاستهلاك في سياق المدينة المعاصرة مجرد تلبية لحاجات بيولوجية، بل تحول الى لغة جديدة ومنظومة من العلامات والرموز التي يستخدمها الفرد بغية تشكيل هويته المتشظية. ففي غياب الذات الجماعية، يلجأ الفرد إلى الذات الاستهلاكية، محاولا الاستعاضة عن العلاقات الإنسانية المفقودة بتكديس السلع والخدمات التي تمنحه تمايزا اجتماعيا ومكانة رمزية. وهكذا تتحول المدينة من فضاء للتواصل والتفاعل الإنساني الخلاق، إلى سوق كبير أو مسرح للاستعراض، حيث يتم تسليع الهوية، وتصبح الذات مشروعا استثماريا خاضعا لمنطق العرض والطلب، وتتحول العلاقات الاجتماعية إلى مجرد تبادلات نفعية عابرة تتسم بالسيولة ومهددة بالزوال.

هذا التحول الجذري يضعنا أمام إشكالية سوسيولوجية مركبة تتعلق بمآل الفعل الاجتماعي **والهوية**[2] في ظل طغيان قيم السوق والعزلة الحضرية. حيث نحن بصدد إعادة تشكيل عميقة للذات الإنسانية، تتداخل حرية الفرد المزعومة مع إكراهات السوق الخفية، لتنتج لنا ذواتا هشة دائمة القلق وتبحث عن مرافئ امن في عالم يتسم بالسيولة. بناء على هذا التأطير النظري والواقعي، تحاول الدراسة هذه تفكيك دينامية الفعل، والهوية، والاستهلاك داخل السياقات الحضرية. منطلقا من الأسئلة الإشكالية التالية:

ـ هل يمكن اعتبار الفردانية نتاجا لبنية المدينة الاجتماعية والهندسية، ام هي انعكاس لتحولات قيمية أوسع؟

---

[1] يحيل الاستهلاك في هذه الدراسة الى الاستعمال المفرط للسلع والخدمات بما يفوق الحاجة، وتحقيقا للرغبات المتدفقة، كما يعتبر الاستهلاك داخل الفضاءات الحضرية علامة مميزة لبناء الهوية والتعبير عنها.

[2] يعرف أ ندري لا لاندAndré Lalande الهوية في موسوعته؛ بأنها تطابق الشيء مع ذاته. كما تحيل الى علاقة الشيء بنفسه، أو المساواة التامة بين شيء وذاته، بحيث يكون ما هو هو، دون زيادة أو نقصان، وفي كل الأحوال التي يُنظر إليه فيه. وقد كان تاريخ الفلسفة (الى حدود الفلسفة الحديثة) يقول بافتراض تباث الجوهر وتغير الأعراض ما يعني ان الهوية تفترض ثبات عنصر جوهري فينا، الا أن الفلسفة المعاصرة او المذاهب الفلسفية المابعد حداثية شيدت متونها بالقول بتغير الهوية وتشظيها وسيولتها وتعدد المحددات التي تشكلها ودحض القول بثباتها في الزمان والمكان.

ـ كيف يتدخل الاستهلاك كفعل جديد لبناء الهوية وإعادة تشكيل الروابط الاجتماعية داخل المدينة؟

ـ الى أي حد يعمل الاستهلاك على إعادة تعريف الهوية داخل السياقات الحضرية؟

2.المدينة وأليات انتاج الفرد

لا يمكن فهم الفردانية المعاصرة[1] بمعزل عن المختبر الذي أنتجها، وهي المدينة وتعقيداتها. فالمدينة ليست مجرد كثافة سكانية أو تراكم عمراني، بل هي نمط وجودي يعيد تشكيل الكينونة الإنسانية. فالانتقال من المجتمعات التقليدية القبلية إلى المجتمعات الحضرية الحديثة لم يعد مجرد تغير جغرافي فقط، بل كان ضربة للأطر الجمعية أو "النحن" لصالح الأنا الفردانية.

وتتسم البيئة الحضرية بخصائص إيكولوجية وديموغرافية محددة تفرض نمطا من العلاقات يختلف جذريا عن الوسط الريفي. وقد أشبع رواد مدرسة شيكاكو تشخيصا في وصف المدينة، فعالم الاجتماع لويس ورث Louis Wirth يصف المدينة بأنها مستقر مجتمعي مجتمعيا يتميز بالتكاثف، لكن هذا التكاثف الفيزيائي يخلق مفارقة اجتماعية؛ فبينما تتقارب الأجساد، تتباعد الذوات الانسانية. إن العوامل الإيكولوجية المتمثلة في زيادة الحجم، وارتفاع الكثافة السكانية، واللاتجانس، تؤدي حتما إلى إضعاف الروابط الأولية القائمة على القرابة والجوار المباشر، لتحل محلها علاقات ثانوية، تعاقدية، وباردة [2]

هذا التحول هو ما أسس لظهور الفرد كوحدة مرجعية أساسية. ففي المجتمعات التقليدية (الجمعية)، كان الفرد مغمورا في الجماعة، يستمد هويته من انتمائه للقبيلة أو العشيرة. أما في المدينة فقد أضحى الفرد لا العائلة الموسعة أو العشيرة، هو الخلية الأساسية للمجتمع[3]. هذا الانتقال من الجماعة (Gemeinschaft) إلى المجتمع (Gesellschaft) يعني أن الاجتماع البشري الحديث بات حالة تعاقدية إرادية حيث تتراجع الهندسة الاجتماعية العمودية المغلفة رمزيا بالسلطة الأبوية لصالح علاقات أفقية أكثر حسابية وتجردا[4].

ولفهم امتدادات تشكل فلسفة الفردانية داخل دواليب المدن المعاصرة؛ يجب التمييز اكثر بين اشتقاقاتها المفاهيمية. حيث مقولة الفرد ككائن بيولوجي لا يتجزأ[5]، والفردانية (Individualisme) كنزعة أخلاقية وفلسفية تؤكد على القيمة

---

[1] تكونت الفردانية كمصدر صناعي عن الفرد، وبتعبير فلسفي مختصر يمكن القول ان الفردانية هي القول بأسبقية الفرد على الجماعة أو بأصالة الذات الفردية على اعتبارية أو ماهي الجماعة والمجتمع. ورغم ان بعض الانثروبولوجين يرجئون تكون الفردانية الى ثقافه الزهد التي تشكلت في المجتمعات القديمة، خاصه مجتمعات شرق اسيا؛ فان الفردانية الحديثة التي تعتبر سردية الحداثة بامتياز قد تشكلت بفعل عوامل التنوير والاصلاح الديني والتعاقد الاجتماعي والثورة الصناعية التي شكلت عماد مجتمعات الغرب الأوروبي.

[2] Wirth, Louis. Urbanism as a Way of Life. American Journal of Sociology, Vol. 44, No. 1Jul, 1938.pp. 1-24..

[3] أسئلة الفردانية في المجتمعات العربية: منعطفات معرفية واجتماعية وتاريخية متشعبة ولا يقينية. مجلة عمران للعلوم الاجتماعية. المجلد 8. العدد 32 (2020). ص133بتصرف.

[4] المرجع نفسه.ص:133.

[5] نصر الدين جابر، الشخصية: الفرد، الفردانية، الفردية، التفرد، الشخص، محاضرات مطبوعة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، (د.ت)، ص:4.

المعنوية للفرد. الفردانية هي القيمة الأساسية للمجتمعات الحديثة، حيث يصبح الأفراد هم الواقع الاجتماعي الأخير وغايات في أنفسهم كما سبق وأن أشرنا.

لكن من الضروري الانتباه الى أن المدينة لا تنتج فقط الفردانية باعتبارها قيمة. بل تنتج نوع من التفرد (Singularité) بمعنى الانعزال والتميز. إن هذه الفردانية الحضرية ليست بالضرورة قوة، بل قد تكون انكشافا. فالفرد الذي تحرر من قيود الرقابة الجماعية في الريف، وجد نفسه في المدينة مجردا من شبكات الأمان التقليدية. فالشخصية تبقى بناء ديناميكي ومستقل يجعل كل فرد موضوعا فريدا، لكن هذا التفرد في سياق المدينة المعاصرة يغدو عبئا نفسيا يتطلب من الفرد إثبات وجوده باستمرار في خضم طوفان من الغرباء الذين يشكلون النسيج الديمغرافي للمدينة بجانبه.

تكشف هذه الوضعية على أن الفردانية التي تنتجها المدينة ليست دائما تلك الفردانية المظفرة أو الإيجابية التي بشرت بها فلسفات الأنوار، بل هي غالبا فردانية هشة وسائلة. في السياقات الغربية، وتجاوزها الى المجتمعات العربية؛ حيث يظهر فرد الجنوب ككيان مبتور يقف عند منتصف الطريق بين التقليدية والحداثة. إن مسارات الفردنة (Individualisation) في المدينة تخضع لمسلسل معقد؛ فمن ناحية هناك تحرر من سطوة العقل الجمعي، ومن ناحية أخرى هناك سقوط في اللايقين وهشاشة الروابط الاجتماعية.

ونشير هنا إلى مفهوم الفرد بالنقصان (Individu par défaut) لروبير كاستل، لوصف الحالة التي يكون فيها الفرد قد انسلخ عن روابطه القديمة لكنه يفتقر إلى الموارد (الاقتصادية والاجتماعية) ليكون فردا مستقلا بذاته. وهنا تتحول المدينة من ساحة للحرية إلى فضاء للاغتراب، حيث يعيش الفرد ازدواجية شعورية بين الرغبة في الاستقلالية وبين عجز دائم عن تحقيقها، مما يدفعه أحيانا للبحث عن ملاذات جديدة أو الانكفاء على الذات.

علاوة على ذلك، فإن تصاعد النزعة الفردية قد اصفر عن تأكل اليات التماسك الاجتماعي. فاستشراء الفردانية في المجتمع يعني تحلل تدريجي للروابط الاجتماعية، وانعدام الرغبة في المساهمة في أي شكل من أشكال الصالح العام. وبالرغم من أن الفردانية لا تعني بالضرورة نهاية التعاون، إلا أنها تؤكد أن عدم المساواة في الموارد – وهي سمة بارزة في المجتمعات الرأسمالية – قد تعقد من عملية التماسك الاجتماعي، اذا لم تتم الاستعاضة عنها بهوية جماعية قوية، او روابط جديدة[1] تربط بين الأفراد وهو ما تفتقده المدن الكبرى التي تتسم باللاتجانس الشديد.

1.2. المجال الفيزيقي للمدينة وتحولات الهوية: من الذات العضوية إلى الانا الاستهلاكية

في ظل هذا الفراغ الوجودي والعزلة التي تفرضها بنية المدينة، يبحث الفرد عن انتماءات بديلة. لم تعد الروابط التقليدية (العائلة الممتدة، الجيران) هي المحرك الأساسي للفعل الاجتماعي. يظهر هنا دور الاستهلاك والفضاء الرقمي كآليات للتعويض. ما

[1] في تحليله للروابط الاجتماعية، يتناول سيرج بوكام (Serge Paugam) رابط المواطنة كآلية إدماج عليا تربط الفرد بالدولة عبر حقوق وواجبات متكافئة، متجاوزا الانتماءات الضيقة لترسيخ شعور العضوية في كيان سياسي وقانوني موحد. ويقوم هذا الرابط على مبدأ المساواة المجردة التي تمنح الأفراد اعترافا مؤسساتيا وحماية سيادية، مما يجعله الضامن الأساسي للتماسك الاجتماعي في المجتمعات الحديثة القائمة على الديمقراطية والعدالة التوزيعية.

أنتج هويات جديدة قائمة على الخورزميات الرقمية، والاستهلاك الناهم للسلع والخدمات. فقد باتت هذه الهويات الجديدة تبحث عن المعلومات والروابط عبر مجموعات مرجعية (Reference Groups) افتراضية. إن هذا السلوك يعكس تحولا في طبيعة الآخر؛ فالآخر لم يعد القريب في السكن، بل أصبح المؤثر أو عضو مجمع استهلاكي أكبر، او عبر شبكات التواصل.

هذا التحول يزكي ما يمكن ان نسميه العزلة المشتركة، فالأفراد في المدينة منعزلون فيزيائيا في بيوتهم لكنهم منخرطون في تسوق اجتماعي يوفر لهم فضاء افتراضيا وشخصيا لمشاركة الاهتمامات وتبادل المعلومات[1]. وهذا النوع من التفاعل الاجتماعي هو استجابة مباشرة لعزلة المدينة؛ إنه محاولة لإعادة بناء مجتمع لكنه مجتمع سائل، مؤقت، وقائم على الاستهلاك كقاسم مشترك بدلا روابط الدم أو الأرض.

هكذا فإن الأفراد يسعون للتميز وتأكيد شخصيتهم الفريدة من خلال طقوس الاستهلاك، مؤكدين أنهم ليسوا أعضاء مجهولين في كتلة غير متمايزة[2]. هذا السعي المحموم للتميز هو من اقصى مظاهر الفردانية الحضرية؛ هكذا يعتبر الاستهلاك في المدن الممتدة بطاقة هوية تعزز من انتمائه دخل تنظيم اجتماعي قائم على الاستهلاك تارة، كما تعزز تفردهم داخل هذا التنظيم تارة أخرى.

يمكن القول ان المدينة بهيكلتها السوسيوإقتصادية المركبة تعمل كالة ضخمة لإنتاج الفرد. لكنه فرد على المقاس؛ ليس كيانا مستقلا ومكتملا كما نظرت له الادبيات الليبرالية الكلاسيكية. بل هو كائن ينخرط بتوتر وقلق في ترميم هويته المتشظية دوما، عبر استراتيجيات جديدة تُتاح حصر في المدن المعاصرة.

2.2. الاستهلاك كدعامة اساسية للهوية داخل الفضاءات الحضرية المعاصرة.

يجد الفرد نفسه في الفضاءات الحضرية المعاصرة، التي تتسم بكثافة وجود الغرباء واللاتجانس. مجردا من ذلك الاعتراف التقليدي الذي كانت تؤمنه له القرية أو القبيلة او الاسرة الممتدة. وهنا بالضبط يتجاوز الاستهلاك وظيفته الاقتصادية النفعية ليصبح منظومة رمزية يعيد الفرد من خلالها تعريف ذاته، وتثبيت موقعه في مواجهة الآخرين. لقد أحدث هذا التحول تغييرا بنيويا في الوضع البشري، فلم يعد الكوجيتو الديكارتي أنا أفكر إذن أنا موجود هو المعيار الوجودي الأول، بل حل محله منطق أنا أستهلك إذن أنا موجود؛ حيث أصبحت الأشياء التي نقتنيها تخدم هويتنا الوجودية أكثر مما تخدم حاجاتنا الوظيفية

لفهم هذه الدينامية، نستحضر الطرح الذي يذهب اليه السوسيولوجي والفيلسوف الفرنسي جان بودريار Jean Baudrillard، الذي يرى أننا لم نعد نستهلك أشياء بناء على قيمتها الاستعمالية، بل نستهلك علامات بناء على قيمتها الرمزية. ففي المجتمع الاستهلاكي تتحول السلع إلى شيفرات تحدد التراتبية الاجتماعية. فالفرد في المدينة لا يشتري السيارة ليتنقل

[1] N. Khobibah, I. Permadi, M. A. Setyawan et F. K. Nisa, The Phenomenon of Social Shopping in Generation Z Medium, Vol 11, n° 2, 2023, p:213

[2] R. T. Quintão, E. P. Z. Brito et R. W. Belk, « Connoisseurship Consumption Community and Its Dynamics », Revista Brasileira de Gestão de Negócios, Vol. 19, n° 63, 2017, p. 52.

بها فحسب، بل يشتريها لتبليغ رسالة صامتة للمجتمع الحضري حول مكانته، وذوقه، وانتمائه الطبقي. وبهذا المعنى، يصبح الاستهلاك نسقا للتواصل والتبادل، ولغة عالمية يتحدثها سكان المدن لفك شفرة بعضهم البعض في غياب التواصل الشفهي [1].

إن هذا التحول يجعل من عملية الاستهلاك طقسا من طقوس التمايز .(Differentiation) فالفردانية هنا لا تتحقق بالانعزال، بل بمحاولة التفرد داخل المجاميع من خلال امتلاك الفارق الذي تمنحه السلعة. وكما يشير تحليل فكر بودريار، فإن الحاجة في هذا السياق ليست نابعة من الطبيعة البشرية، بل هي نتاج لنسق الإنتاج الذي يخلق الرغبة، مما يدخل الفرد في دوامة لا نهائية من محاولة التعويض عن حاجات وهمية لا يمكن ابدا اشباعها. لأن الهدف ليس السلعة في حد ذاتها بل المعنى الاجتماعي الذي تمنحه[2].

وإذا كان بودريار يركز على العلامة، فإن زيجمونت باومان ينقلنا إلى مستوى أعمق يتعلق بسيولة الهوية في العصر الحديث. ففي المجتمعات الصلبة او مرحلة الحداثة كانت الهوية معطى ثابتا وموروثا. أما في الحداثة السائلة، فقد اضحت الهوية مهمة يجب على الفرد إنجازها بنفسه يوميا. وهنا يشير باومان إلى أننا انتقلنا من مجتمع المنتجين إلى مجتمع المستهلكين، حيث أصبح الفرد مطالبا بإعادة ابتكار نفسه باستمرار ليواكب إيقاع السوق المتسارع[3].

في هذا السياق، يصبح التسوق كطقس تعويضي للقلق الناتج عن عدم اليقين. فالفرد السائل يعيش حالة من الهشاشة الدائمة، ويخشى أن يصبح عبارة عن نفاية بشرية إذا فشل في مواكبة معايير الاستهلاك السائدة. لذلك تراه يلجأ إلى اقتناء السلع كنوع من الحماية أو الدرع الرمزي. إن الهوية الرقمية والاستهلاكية التي يبنيها الفرد؛ هي محاولة يائسة لتثبيت الذات في عالم متغير، حيث لم تعد الهوية شيئا يكتشفه المرء، بل شيئا يخترعه من خلال ما يأكله ويرتديه وايضا ما يرتاده من خدمات[4].

ان هذا السعي المحموم وراء الهوية عبر بوابة الاستهلاك؛ يخلق انسانا سائلا لا يرتبط بالأشياء ولا بالأشخاص إلا بروابط مؤقتة، قابلة للفك والتحلل بمجرد انتهاء صلاحيتها أو ظهور صيغة حديثة. وهذا ما يترجم حالة الأزمة المستمرة التي يعيشها الفرد، حيث تتقلص مساحات الأمان الاجتماعي وتتوسع مساحات المخاطرة الفردية.

تتوج هذه الطقوس داخل فضاء المدينة التي تعمل كمسرح كبير للاستعراض. حيث ان الهندسة الاجتماعية للمدينة، تعمل على فرض نمط من العلاقات السطحية التي تتطلب واجهات جذابة. هذه الواجهات يتم بناؤها عبر الاستهلاك. فمراكز التسوق ليست مجرد أماكن لعرض السلع او التبضع، بل هي بمثابة فضاءات العبادة التي يمارس فيها الأفراد طقوسهم الجماعية في

---

[1] Purwanti Silviana et Mas'ud Mustain, Consumption Practice in the Baudrillard Perspective, Russian Journal of Agricultural and Socio-Economic Sciences (RJOAS), Vol. 86, n° 2, February 2019, p.53

[2] فتيحة دحماني ورشيدة عبة، ثقافة الاستهلاك وأثرها على قيم الفرد من منظور جان بودريار، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 10، العدد 01 (يناير 2023) ص:45.

[3] حجاج خليل، جدراوي عفاف، سؤال الحداثة عند زيجمونت باومان، مجلة الرستمية، العدد 03، فيفري 2021، ص:12.

[4] حجاج خليل، جدراوي عفاف، الإنسان السائل: نحو أنطولوجيا رقمية سائلة عند زيجمونت باومان، مجلة دراسات وأبحاث (المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة الجلفة، المجلد 12، العدد 04، ديسمبر 2020، ص: 43.

عبادة السلعة. في هذا الصدد يقع الفرد تحت طائلة ما أسماه بودريار واجب السعادة. ففي مجتمع الاستهلاك، السعادة ليست حقا بل هي واجب ومطلب أخلاقي يجب إظهاره عبر المتعة والرفاهية. الفرد الذي لا يستهلك ولا يستمتع هو فرد شاذ عن النسق العام. هذا الإكراه يخلق نوعا جديدا من الاغتراب؛ فبينما يعتقد الفرد أنه يمارس حريته في الاختيار بين آلاف المنتجات، هو في الحقيقة يمارس طقسا من طقوس الامتثال للمعايير التي يفرضها السوق[1].

هكذا تكشف طقوس التعويض عبر الاستهلاك عن مأزق الهوية في المدينة المعاصرة. فالفردانية التي نراها تتجلى في المظهر والملبس والمقتنيات ليست اصيلة، بل هي فردانية مصنعة.(Standardized Individualism) ومشوهة. حيث يسعى من خلالها الفرد الى التخفيف من وطأة العزلة التي ا خلفتها المدينة، وترميم الروابط الاجتماعية المتهالكة عبر استبدال دفء الجماعة ببريق السلعة، هذا الاستبدال، وإن كان يمنح نشوة لحظية، فإنه يعمل على ترسيخ حالة من السيولة والقلق الدائم، حيث تظل الهوية مشروعا غير مكتمل، ومرهونة دائما بالانخراط في دوامة الاستهلاك المتجدد.

3. المدينة ومأزق الفرد بين الهوية السائلة والاغتراب

بعد ان توقفا سابقا عند الميكانيزمات التي من خلالها تعمل المدينة كآلة هندسية لإنتاج العزلة الفيزيائية، وكيف يهرع الفرد إلى الاستهلاك كطقس تعويضي لترميم ذاته المتشظية... نعرج الان على بعض صور التحليل السوسيولوجي للوضع البشري المعاصر؛ حيث السيولة والفراغ إن ما تنتجه المدينة المعاصرة ليس مجرد كائن مستهلك نهم، بل تنتج وضعا وجوديا جديدا يتسم بالهشاشة واللايقين.

1.3 مظاهر الهوية السائلة في المدينة

لم يعد الفرد في الفضاءات الحضرية المعاصرة يعيش ضمن تنظيمات متينة تمنحه تعريفا جاهزا لكينونته سواء (العائلة او الطبقة او القبيلة..) حيث دخلنا وفق توصيف باومان الى عصر الحداثة السائلة، حيث تحللت الأطر الاجتماعية التي كانت تعمل كإسمنت يربط هذه الأطر ببعضها. حيث تصبح الهوية في هذا السياق مهمة صعبة ملقاة على عاتق الفرد يعمل على تشكيلها باستمرار.

يشير باومان[2] إلى أننا انتقلنا من مرحلة كانت فيها الهوية امر حتميا لا مفر منه، إلى مرحلة أضحت فيه الهوية مشروعا يتطلب إعادة بناء مستمرة. هذا التحول الجذري يضع الفرد أمام مسؤولية ساحقة؛ فالفشل في تحقيق الذات لم يعد يعزى إلى النظام أو او سلسلة من الضرورات الأخرى بل أصبح فشلا شخصيا بامتياز. وفي المدينة حيث تسارع وثيرة التغير يضطر الفرد

[1] يطرح جان بودريار في الفصل السادس من كتاب مجتمع الاستهلاك اساطيره وبنياته، والمعنون بالتخصيص، ان منطق السوق يلعب على التباينات بن الافراد ويخصص سلع تغدي هذا الاختلاف، الا ان الفرد غالبا في سعيه نحو التفرد باستهلاكه لسلع معينة ينتهي به الامر الى التوافق مع المعايير الاجتماعية التي يفرضها مجتمع الاستهلاك.

[2] هذه الفكرة نجدها متناثرة في سلسلة السيولة، خصوصا كتاب الحداثة السائلة، في الفصل الأول. الموسوم بـ" التحرر" والفصل الثاني الموسوم بـ" الفردية". كما ان أطروحة البناء المستمر للهوية في العصر الحديث. نجد لها مؤشرات في كتب باومان وخصوصا كتاب: المجتمع المفردنThe Individualized Society ، وكتاب الحياة السائلة.

لتبني هويات مؤقتة، قابلة لإعادة التركيب او الفك، مثل الملابس تماما وذلك لتجنب الوصم بنعوت التخلف او عدم المواكبة.. إن هذه السيولة تجعل الروابط الإنسانية هشة، وتخلق ما يسميه باومان الإنسان السائل الذي يخشى الارتباط الدائم لأنه يقيد حريته في الحركة والتغير[1].

هذه الوضعية من اللايقين؛ التي توقف عندها باومان شارحا اثارها على الانسان الحديث، هي ذاتها التي خلقت حالة من الفراغ عند هذا الأخير. حيث يجادل جيل ليبوفتسكي Gilles Lipovetsky في تحليله لعصر الفراغ بأن انسان ما بعد الحداثة يعيش سيرورة تشخصن (Process of Personalization) هائلة، حيث يتم تحرير الفرد من الأطر الجماعوية الصارمة، لا ليكون حرا بالمعنى اللبيرالي ـ السياسي للعبارة، بل ليكون منكفئا على ذاته[2]. هذه الفردانية المعاصرة حسبه لم تعد تلك الفردانية الثورية التي تمجد العقل والحرية التي بشرت بها الحداثة. بل أصبحت فردانية نرجسية تبحث عن الإشباع الفوري وتتسم باللامبالاة إزاء قضايا الشأن العام.

2.3 المدينة وحالة الفراغ: النرجسية كآلية دفاعية

في ظل غياب المعنى الذي الكبير الذي كانت توفره السرديات الكبرى بتعبير جان فرنسوا ليوتار Jean-François Lyotard (الدين، الأيديولوجيا، القومية...) يجد الفرد نفسه إزاء فراغ وجودي مفزع. هذا الفراغ هو السمة الأساسية لما بعد الحداثة، حيث يفقد كل تطلع للمستقبل المستقبل جاذبيته، وينحصر الاهتمام في الحاضر وفي الجسد وفي الذات[3]. وليست المدينة المعاصرة بأضوائها وصخبها سوى محاولة للتعتيم على هذا الفراغ، الا انها قد تزيد من كثافته.

هكذا يتحول الفرد في المدن الحديثة الى كائن نرجسي ليس حبا في ذاته، بل خوفا من تأكلها بين ثنايا السباق المفروض عليه. هذه النرجسية الجديدة كما يصفها ليبوفتسكي ليست استعلاء، بل هي استراتيجية تكيف للبقاء في عالم خال من الثوابت. حيث يغدو الجسد هو الموضوع الوحيد المتبقي لليقين، ولذلك نرى الهوس الجنوني بالصحة والجمال والشباب الدائم، والاستهلاك الترفيهي كمحاولة لملئ هذا الفراغ المستشري عند انسان المدن الحديثة كما يرى جيل ليبوفتسكي.

هذا الانكفاء النرجسي يعزز حالة من البرود في العواطف والمشاعر تجاه الآخرين. ففي سياق المدينة، تصبح المعادلة كالتالي كلما ازدادت الكثافة البشرية والتقارب الفيزيائية زادت العزلة النفسية والاجتماعية وبالتالي يصبح الآخر مجرد أداة لتعزيز الذات أو في أسوأ الحلات عقبة امام المتعة الشخصية. وهنا يظهر عمق الاغتراب الجديد الذي ينغمس فيه الفرد. إنه ليس اغتراب العامل عن منتجه كما في الرأسمالية الصناعية التي وصفها كارل ماركس. بل هو اغتراب الفرد عن ذاته وعن الاخرين في مجتمع

[1] حجاج خليل، جدراوي عفاف الإنسان السائل: نحو أنطولوجيا رقمية سائلة عند زيجمونت باومان، مرجع سابق. ص: 649 بتصرف.

[2] جيل ليبوفتسكي. عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة. ترجمة حافظ إدوخراز. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، 2018،ص:15 بتصرف.

[3] المرجع نفسه.ص:45 بتصرف.

الوفرة[1]. الفرد هنا يشعر بأنه غريب حتى وهو محاط بعشرات الافراد، غريب في علاقاته التي تفتقد للدفء والحميمية، وغريب عن رغباته الحقيقية التي تم استبدالها برغبات مصطنعة إعلاميا، في فضاءات تقدس الاستهلاك. يفضي بنا التحليل إلى أن الاغتراب في المدينة المعاصرة لم يعد مجرد حالة نفسية عابرة، بل أصبح من الاشراطات الوجودية ان يعيش الفرد في المدينة حالة من الانفصال متعدد المستويات يمكن اختزالها في الاتي:

- **انفصال عن المكان** :المدينة الحديثة هي فضاءات للأمكنة (Non-places) مخصصة للعبور وليست فضاءات للإقامة والذاكرة.
- **انفصال عن الزمن** :شيوع ثقافة اللحظة تلغي أي شعور بالاستمرارية التاريخية في المدينة.
- **انفصال عن الاخر** :تتحول العلاقة مع الغير إلى تعاقدات نفعية مؤقتة، خالية من الالتزام الأخلاقي العميق.

هذا الاغتراب المركب يجعل الفرد في حالة بحث دائم عن الخلاص. لكن المفارقة المأساوية تكمن في أن الحلول التي يقدمها المجتمع (المزيد من الاستهلاك، المزيد من الانغماس الرقمي، المزيد من التمركز حول الذات) هي نفسها الأسباب التي تفاقم المشكلة. وكما يشير تحليل ظاهرة الجنوح نحو الفردانية، فإن التفكك الأسري وضعف الحضانة الاجتماعية يتركان الفرد أعزلا في مواجهة طوفان من الضغوط، مما يدفعه نحو سلوكيات انسحابية أو عدوانية كصرخة احتجاج صامتة ضد برودة العالم[2].

3.3 المدينة ونهاية الرابط الاجتماعي التقليدي.

إن استفحال منطق الفردانية المفرطة (Hyper-Individualism) وسيولة النواظم التقليدية للهوية داخل المدن الحديثة، قد قاد حتما إلى تأكل التماسك الاجتماعي. حيث تتراجع قيم التضامن والتعاون لصالح التنافس والأنانية. حيث الفرد هو المرجعية النهائية والوحيدة، وبالتالي ترتخي وتضعف الهوية الجماعية التي كانت تعمل كصمغ يربط نسيج المجتمع.

وفي السياق العربي، يبدو هذا التآكل أكثر تعقيدا؛ حيث أن الفردانية في هذه المجمعات لم تأت نتيجة تطور تاريخي طبيعي كما حدث في الغرب، بل استجابة لحالة هجينة من تفاعل العول المتعددة. فنحن أمام فرد تم انتزع عنوة من الحاضنة التقليدية (القبيلة/العائلة الممتدة)، لكنه لم يجد البديل التنظيماتي المنشود سواء الدولة أو المجتمع المدني القادر على حمايته ومنحه حقوق المواطنة الكاملة. هذا الوضع لازال يخلق افرادا هشة تعيش حالة من اللايقين الدائم، مما يدفعها أحيانا للارتداد إلى أشكال مشوهة من الجماعوية (كالتعصب الرياضي أو الديني) كوسيلة دفاعية ضد قسوة الفردانية.[3]

---

[1] C.H. Hoefer,Die entfremdete Entfremdung: Prolegomena zu einer Phänomenologie der Entfremdung, Journal für Psychologie, Vol 6, n1,1998, p:26:

[2] بوزار ربيحة دينارزاد، الجنوح نحو الفردانية في ظل الحضانة الأسرية، *مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية*، المركز الجامعي غليزان – الجزائر، العدد 03 (جانفي 2021)، ص:413 بتصرف.

[3] المولدي الأحمر، أسئلة الفردانية في المجتمعات العربية، مرجع سبق ذكره،ص:123 بتصرف.

تأسيسا على ما سبق، تكشف مقاربة الهوية السائلة في المجال الحضري المعاصر عن الأبعاد النقدية للفردانية؛ حيث تبرز أزمة الاغتراب والقلق المستمرين نتيجة تحول الذات إلى مشروع دائم التغير وغير مكتمل. فرغم نجاح المدينة في تحرير الفرد من الروابط التقليدية القهرية، إلا أنها وضعته في عزلة اجتماعية جعلت من الاستهلاك الالية الوحيدة لترميم الهوية وإثبات الانتماء الجديد.

4.المدينة من حاضنة للمواطنة الى فضاء للاستهلاك

تطرقنا سابقا الى ان المدينة بهندستها الحضرية السوسيوإقتصادية تعمل على التصديق على صيغة الفردانية المفرطة، وتزكية طقوس الاستهلاك. مما ينتج وضع وجودي قائم على العلاقات الاجتماعية السائلة والمؤقتة؛ فإننا نسترسل في هذا المحور في كشف معالم التعقيدات الوجودية التي تفرضها المدن المعاصرة على قاطنها. وهنا تبرز الإشكالية الرئيسيةـ الضمنية لهذا المحور؛ فالفضاءات الحضرية تحولت من ساحة عامة للنقاش والتواصل السياسي والأخلاقي ـ كما نَظَّر لذلك الفلاسفة من عهد اليونان ـ إلى حقل لاستعراض أنماط الحياة المختلفة(Lifestyles)، بما فيها أنماط الاستهلاك، حيث يتم فيها تسليع الهوية والمكان معا.

ومن هذا المنطلق يمكن التأكيد على ان المدينة المعاصرة لم تعد حاضنة للمواطنة، بل تحولت إلى فضاء للاستهلاك يعيد دوما إنتاج الفروقات الطبقية والاجتماعية تحت غطاء التنوع. وهنا تبرز أطروحات عالمة الاجتماع الحضري شارون زوكين Sharon Zukin؛ باعتبارها مدخل أساسي لفهم كيف يتم توظيف الثقافة والفن والذوق لإعادة هيكلة المدينة. لا هدفا في خدمة البنية الديمغرافية، بل لخدمة تراكم رأس المال، مما يضع الفرد أمام اغتراب مكاني مضاعف.

وتطرح شارون زوكين في تحليلها لأنماط الحياة الحضرية مقاربة نقدية صارمة تكشف الوجه الخفي لما نسميه التطور الحضري. فهي ترى أن الانتقال إلى اقتصاد الخدمات واقتصاد الرموز جعل من الاستهلاك المحرك الأساسي لتنظيم المجال الحضري. حيث لم يعد الفضاء العام ملكا للجميع، بل أصبح خاضعا لمنطق الاستيلاء الرمزي من قبل فئات محددة تمتلك رأس المال الثقافي اللازم لفك شفرات هذا الفضاء[1].

إننا بصدد ما تسميه زوكين بعملية الاحلال الطبقيGentrification حيث لا تطال المباني والأحياء فقط، بل تطال الهوية ايضا. فالفرد في المدينة المعاصرةـ ولكي يثبت تحضره ومكانته ـ يجد نفسه مكرها على ارتياد أماكن محددة (مقاهي مختصة، أحياء فنية، أسواق عضوية) ليستمد منها قيمته. بهذا النهج تشير زوكين إلى أن أنماط الحياة الحضرية أصبحت تعتمد على التنوع والتنميط في ان واحد؛ فبينما يبدو ان المدينة توفر خيارات لا نهائية، فإن هذه الخيارات في الحقيقة موحدة وتخضع لسيطرة الشركات الكبرى ومطوري العقارات الذين يبيعوننا وهم التميز[2].

[1] Sharon Zukin, Urban Lifestyles: Diversity and Standardisation in Spaces of Consumption,Urban Studies,Vol. 35, Nos 5-6, 1998, p:827.

[2] Ibid. p:826

هذا التحول يقودنا إلى استنتاج حول الشرط البشري في المدينة: لقد تم استبدال المواطن الذي له حقوق مكتسبة في المدينة بمستخدم او زبون مرحلي تُقاس اهليته بمدى قدرته على الاستهلاك. فالأماكن العامة التي كانت تاريخيا مسرحا للاحتكاك العفوي بين الغرباء، تحولت إلى ما يسميه باومان بفضاءات الاستهلاك، وهي اماكن مخصصة تبدو عامة، لكنها في العمق تخضع لرقابة صارمة وتستبعد كل من لا يملك القدرة الشرائية مما يجعل المدينة مجالا لتزكية الفصل العنصري الحديد عبر بوابة الاستهلاك.

وإذا كانت زوكين تركز على المكان، فإن زيجمونت باومان يربط هذا التحول المكاني بهاجس الأمن. في كتابه، Community: Seeking Safety in an Insecure World يوضح باومان المفارقة الكبرى: نحن نعيش في مدن مكتظة، لكننا مسكونون بالخوف من الغرباء (Mixophobia) هذا الخوف يدفعنا للهروب من شوارع المدينة المفتوحة وغير المتوقعة، واللجوء إلى "الجيتوهات" الطوعية أو المجمعات التجارية العابرة[1]

وهنا تكمن المأساة الحقيقية للفردانية المعاصرة، فبهيمنة الاستهلاك، لم يتحرر الفرد، بل تم سجنه في شرنقة من القلق. إنه يضحي بحريته الاصيلة في التفاعل والمخاطرة، مقابل أمن وهمي يوفره حراس الأمن في المراكز التجارية. وكما يشير باومان فإن هذا الانسحاب من المجال العام يعني موت السياسة وذبول القدرة على الفعل المشترك، ليتبقى للفرد ساحة وحيدة لإثبات وجوده هي ساحة السوق[2]، وذلك رفقة الاسراب البشرية المؤقتة التي تنتهي فور انتهاء الغاية التي انتظمت من اجلها.

ويشمل تأثير الهندسة المكانية والاستهلاكية للمدينة ـ التي شخصنها سبقا ـ على الصيغة الأخلاقية للهوية. حيث يتوقف باومان في كتابه؛ هل للأخلاق فرصة في عالم المستهلكين؟ عند مفهوم اللامبالاة الأخلاقية .(Adiaphorization) في الفضاءات الحضرية المحكومة بمنطق السوق، حيث يتم العمل على تحييد العلاقة مع الآخر أخلاقيا. فذلك الاخر لم يعد ذاتا تستدعي المسؤولية اتجاهها كما نظر لذلك الفيلسوف (ليفيناس)، بل أصبح إما موضوعا للاستهلاك وشريك عاطفي عابر يقدم خدمة معينة او في اسواء الحالات متسول غريب يجب ابعاده.[3]

يتوافق هذا المنظور مع الطرح الذي ذهبت اليه شارون زوكين؛ حول أن ثقافة الاستهلاك تعيد تشكيل الذات لتصبح مرنة ومتكيفة مع السوق، مما يلغي العمق التاريخي أو الالتزام طويل الأمد. الهوية في هذا السياق تصبح مشروعا فرديا خالصا، ينفصل فيه الفرد عن هموم جماعته. إننا نشهد ولادة هوية سائلة تتشكل وتتفكك حسب الزمان والمكان وكما يورد باومان، فإن

[1] Zygmunt Bauman, Community: Seeking Safety in an Insecure World, Cambridge, Polity Press, 2001,PP:102.110

[2] زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2015.ص:93 بتصرف.

[3] Zygmunt Bauman, Does Ethics Have a Chance in a World of Consumers?, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 2009.P:53

السعي وراء الهوية في عالم سائل هو عملية لا تنتهي من إعادة التدوير، حيث يلقي الفرد بأجزاء من ذاته كما يلقي بالسلع القديمة، خوفا من أن يصبح هو نفسه نفاية بشرية غير مرغوب فيها في سوق العلاقات[1].

في ضوء ما سبق، وبالربط بين جدلية المكان عند زوكين والسيولة عند باومان، نخلص إلى أن الفضاءات الحضرية المعاصرة تمارس نوعا من العنف الرمزي الناعم على قاطنيها. حيث توهمهم بأنهم أفراد أحرار يختارون أنماط حياتهم، بينما هم في الحقيقة خاضعون لـ هندسة اجتماعية صارمة تمليها رؤوس الأموال وشركات التطوير العقاري.إن التحول في الهوية الذي رصدناه في هذا الدراسة ليس مجرد تغير في الأذواق، بل هو تغير في الكينونة. لقد تحول الكائن البشري في المدينة من كائن اجتماعي يبني هويته عبر العلاقات والعمل والإنتاج، إلى كائن استعراضي يبني هويته عبر الفرجة والظهور في أماكن الاستهلاك المرموقة.

5. خـــــاتمة:

تأسيسا على ما سبق تحليله، يتبدى لنا أن التحولات البنيوية التي طرأت على الفضاء الحضري المعاصر لم تكن مجرد إعادة هيكلة المجال او إعادة صياغة هندسته، بل كانت رجة وجودية أعادت صياغة كينونة الفرد وعلاقاته البينية مع الاخر. لقد أفضى الانتقال من مجتمع الانتماء الصلب إلى مجتمع الاستهلاك السائل إلى نشوء فردانية قلقة، تجد نفسها مرغمة على ترميم هويتها المتشظية عبر لغة السلع ورموز السوق. إن هذا الاغتراب الجديد، الذي رصدته الدراسة هذه، عبر تقاطعات باومان وبودريار وزوكين، يثبت أن الاستهلاك لم يعد فعلا اقتصاديا نفعيا، بل اضحى ممارسات اعتيادية، لمحاولة نيل اعتراف اجتماعي مفقود في زحام المدن المعاصرة الضخمة.. وبناء عليه، فإن المدينة التي وعدت الفرد بالتحرر من قيود الجماعة التقليدية، انتهت به إلى عبودية طوعية لنمط العيش النرجسي، حيث تُختزل الذات في واجهة استعراضية دائمة التغير.

[1] زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رءوف عزت، سلسلة الفقه الاستراتيجي رقم 3، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2016، ص ص 137 ـ138 بتصرف.

قـــــائمة البيبليوغرافيا:

زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رءوف عزت، سلسلة الفقه الاستراتيجي رقم 3، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2016.

زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، ترجمة حجاج أبو جبر،بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2015.

حجاج خليل، جدراوي عفاف، الإنسان السائل: نحو أنطولوجيا رقمية سائلة عند زيجمونت باومان، مجلة دراسات وأبحاث (المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة الجلفة، المجلد 12، العدد 04، ديسمبر 2020.

بوزار ربيحة دينارزاد، الجنوح نحو الفردانية في ظل الحضانة الأسرية، مجلة مدرات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي غليزان – الجزائر، العدد 03 جانفي 2021.

عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة. ترجمة حافظ إدوخراز. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، 2018.

فتيحة دحماني ورشيدة عبة، ثقافة الاستهلاك وأثرها على قيم الفرد من منظور جان بودريار، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 10، العدد 01،يناير 2023.

Zygmunt Bauman, Does Ethics Have a Chance in a World of Consumers?, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 2009.

Zygmunt Bauman, Community: Seeking Safety in an Insecure World, Cambridge, Polity Press, 2001

Sharon Zukin, Urban Lifestyles: Diversity and Standardisation in Spaces of Consumption,Urban Studies,Vol. 35, Nos 5-6, 1998.

C.H. Hoefer,Die entfremdete Entfremdung: Prolegomena zu einer Phänomenologie der Entfremdung, Journal für Psychologie, Vol 6, n1,1998.

R. T. Quintão, E. P. Z. Brito et R. W. Belk, « Connoisseurship Consumption Community and Its Dynamics », Revista Brasileira de Gestão de Negócios, Vol. 19, n° 63, 2017.

Purwanti Silviana et Mas'ud Mustain, Consumption Practice in the Baudrillard Perspective, Russian Journal of Agricultural and Socio-Economic Sciences (RJOAS), Vol. 86, n° 2, February 2019.